هجرة الكفاءات العربية للمدة (١٩٧٠-٢٠١٠)

أ.م.د.جواد كاظم الحسناوي

جامعة الكوفة/ كلية التربية للبنات

ملخص البحث :

تعد هجرة الكفاءات ظاهرة تتزايد على حساب البلاد الموفدة وللتقليل من هذا النزيف، من الضروري تحسين السياق وخلق بيئة مهنية مشجعة. ولكن تقليل هذه التدفقات يقتضي سياسة إدارية، لكنها تظل أغلب الوقت غير كافية، لأنها ليس لها تأثير كبير على عوامل الجذب في البلاد المتقدمة، ولكن في مواجهة هذه الظاهرة، يظل الأساس هو بلورة آليات تجعل من هجرة الكفاءات ثروة مشتركة، ونتمكن في النهاية من الإنتقال من استنزاف العقول إلى وضع مربح للأطراف الثلاثة، بلدان الإستقبال، بلدان المنشأ والمهاجر.

بدأت ظاهرة هجرة العقول العربية بشكل محدد منذ القرن التاسع عش ، وبخاصة في سوريا ولبنان والجزائر وليبيا ومصر ، حيث اتجهت هجرة الكفاءات العلمية السورية واللبنانية إلى فرنسا ودول أميركا اللاتينية ، فيما اتجهت الهجرة من الجزائر إلى فرنسا وليبيا الى إيطاليا. وفي بداية القرن العشرين ازدادت هذه الهجرة و لا سيما خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية ، وفي السنوات الخمسين الأخيرة هاجر من الوطن العربي مابين ٢٥-٥٠% من الكفاءات العربية.

يسهم الوطن العربي في ثلث هجرة الكفاءات من البلدان النامية وإن ٥٠% من الأطباء و ٢٣% من المهندسين و ١٥% من العلماء من مجموع الكفاءات العربية المتخرجة يهاجرون متوجهين إلى أوروبا والولايات المتحدة وكندا بوجه خاص و٥٤%من الطلاب العرب الذين يدرسون في الخارج لا يعودون إلى بلدانهم في حين يشكل الأطباء العرب العاملون في بريطانيا حوالي ٣٤% من مجموع الأطباء العاملين فيها معظمهم عراقيين.

المقدمة

تعني هجرة الكفاءات انتقال الافراد عاليي التأهيل (عادة خريجي التعليم العالي) من بلد ما الى اخر gغرض العمل والاقامة الدائمة. وقد عانت بلدان العالم الثالث من هذا النوع من الهجرة خلال القرن العشرين وبخاصة بعد الحرب العالمية الثانية، الا ان نزيف العقول*(Brain Drain) لم يلق اهتماماً دولياً الا في نهاية

* اختلفت التسميات التي اطلقت على هذا النوع من الهجرة كهجرة الكفاءات وهجرة العقول ونزيف الادمغة والنقل المعاكس للتكنلوجيا...

الستينات والسبعينات من القرن الماضي، بعد ان بدأت بلدان غربية مصنعة كبريطانيا، تفقد كفاءاتها لدول غربية اخرى في حال اقتصادي افضل.

تعاني منها الدول العربية بشكل خاص ودول العالم الثالث بصفة عامة. فاهميتها تاتي من العلاقة التداخلية التفاعلية بين العقل (الكفاءة العلمية) واثره وتاثيره على التنمية والاستقلال والامن القومي.

فعلى الرغم من ان المعنى الحقيقي الظاهري للنزيف البشري يكمن في حركة العقل العلمي العربي (موضوع بحثنا) من وطنه الام الى الدول الاكثر تطوراً الا انه يمكن اعتبار هذه الظاهرة والحركة بمثابة انتقال الثروة العربية من موطنها الاصلي الى الدول المستقبلة، حيث يستند هذا الفهم الى ان الثروة الحقيقية للدول تكمن في قاعدتها البشرية المؤهلة علمياً وفنياً، وقدرتها على النهوض باعباء تطوير التنمية الشاملة بجوانبها ومفاصلها المتعددة، الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

فالعلماء والكفاءات العلمية هم احدى ركائز التنمية الوطنية وعوامل دفعها وهم القوة المؤثرة في خلق الابداع والمساهمة في اعداد القوة المادية والانتقال بالدولة من حالة التأثر الى حالة التأثير. وهجرة العقول العربية تؤدي ايضاً الى توسيع الفجوة الصناعية بين الدول المتطورة والاقطار العربية وتحول دون تقدم الاخيرة وتجعلها باقية في حالة التخلف والتبعية نتيجة لحاجتها للتطور التكنلوجي والعلمي.

وبالرغم من تزايد حركة الهجرة الخارجية وتنقل العمالة بصفة خاصة بين الأقطار العربية فأن دراسة هذه الظاهرة وما ينتج عنها من آثار اجتماعية واقتصادية سواء كانت إيجابية أم سلبية ، تواجه بعقبة أساسية تتمثل فى نقص المعلومات والبيانات الاحصائية المتصلة بتلك الظاهرة . وترجع هذه المشكلة إلى سببين أساسيين [١]:

الأول : إن بعض الدول العربية لم تجر تعدادا واحدا للسكان لمدة عقدين متتالين كالعراق واليمن علاوة على أن ما يتم إجراؤه من عمليات إحصائية فى أغلب الدول العربية تشوبه عيوب كثيرة لعل من أبرزها الاختلاف فى التعريفات والمفاهيم أو فى التصنيفات الخاصة بخصائص العمالة الوافدة إليها .

الثانى : يتمثل فى عزوف بعض الدول العربية عن نشر معلومات وإحصاءات قوة العمل بها سواء كانت وطنية أم أجنبية وذلك لاعتبارات قد تراها من وجهة نظرها تتصل بأمور أمنية أو سياسية ، أو تقوم بنشر هذه المعلومات والاحصاءات متأخرة بحيث تصبح هذه البيانات غير ملائمة خاصة فى عالم يتسم بسرعة الأحداث والتغيرات .

---

(١) ابراهيم قويدر، فقدان المواهب لصالح بلدان اخرى"هجرة العقول العربية"، مجلة ليبيا اليوم الالكترونية، عدد ٢٠٠٧/١/٢٣.

المبحث الاول: الاطار النظري وتحديد المفاهيم

مشكلة البحث:

١- ما الأسباب الرئيسة الكامنة وراء مشكلة هجرة العقول العربية ؟

٢- ما التصور المقترح لمواجهة هجرة العقول العربية ؟

٣- لماذا تخفق الدول العربية في بذل الجهود اللازمة لجذب علمائها وفنييها ذوي المهارات العالية والقيقة في حين نجحت دول أخرى في ذلك؟

فرضية البحث :

ان هجرة الكفاءات العربية لها أثر سلبي على أقتصادات البلدان الطاردة فضلا عن اتساع الفجوة العلمية التخلف العلمي بمختلف ميادينيه سواءا الاقتصادية، الاجتماعية، السياسية فيما بين دولنا العربية النامية (المتخلفة) ودول العالم المتقدم في اوروبا وامريكا وكذلك بعضا من دول اسيا.

أهداف البحث :

١- التعرف على الأسباب الرئيسة الكامنة وراء مشكلة هجرة العقول العربية .

٢- التعرف على التداعيات المترتبة على هجرة العقول العربية .

٣- محاولة التوصل إلى صياغة إستراتيجية مقترحة لمواجهة هجرة العقول العربية .

أهمية الدراسة :

١- تحاول هذه الدراسة التوصل لرؤية مستقبلية للحد من هجرة العقول العربية .

٢- تعد هذه الدراسة تحليلية تقدم البيانات الإحصائية عن هجرة العقول العربية .

٣- تزود هذه الدراسة القائمين على اتخاذ القرار في المجتمع العربي بمراعاة احتياجات العقول العربية المتميزة .

٤- قد تفيد هذه الدراسة المكتبة العربية والعراقية.

الحدود المكانية والزمانية للبحث

يمثل الوطن العربي بجميع دوله الحدود المكانية للبحث في مثلت المدة مابين (١٩٧٠-٢٠١٠) الحدود الزمانية.

مفهوم هجرة العقول والكفاءات العلمية:

تعد هجرة الكفاءات نوعا من الهجرة بمفهومها العام وماينطبق على الهجرة العامة من شروط موضوعية ينطبق على هذه الهجرة كذلك، وليس من فرق بينهما سوى ان الاخيرة هي جزء فقط من الهجرة العامة في شكل خاص مميز من الهجرة العامة لكونها تشمل فئة نوعية من القوى العاملة اذ يكون التميز بمستوى الكفاءات والمهارات

والتحصيل العلمي[٢]. ان انتقال الافراد من منطقة ما الى منطقة أخرى. سواء كان ذلك داخل حدود الدولة، هو ما يطلق عليه الهجرة الداخلية، أو الهجرة خارج حدود الدولة وهو ما يطلق عليه الهجرة الخارجية. وقد تتم الهجرة بشكل قانوني، أو قد تتم من خلال تسرب المهاجر الى الدولة المقصودة بطرق غير شرعية، مثل ادعاء الدخول بغرض الزيارة ثم الاستمرار في البقاء داخل الدولة بهدف العمل.

ان اصطلاح استنزاف العقول او الادمغة هو اصطلاح اطلقه البريطانيون على خسائرهم نتيجة هجرة الادمغة والكفاءات العلمية التي اجتاحت بريطانيا في نهايات العقد الاربعين من القرن المنصرم بعد ان وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها وانشغال الدولة في تعويض ما دمرته الحرب. فقد هاجر الاطباء والمهندسين والعلماء من بريطانيا الى الولايات المتحدة الامريكية التي عملت بدورها على فرز وتصنيف المهاجرين اليها من الكفاءات العلمية ومتابعة حركتهم والتعرف على تطور اعدادهم وضبط حركة نموها بين سنة واخرى[٣].

لم تصب حركة هجرة الادمغة بريطانيا فحسب بل ازدادت حركة هجرة العقول من البلدان المتخلفة (الدول النامية)الى كل من الولايات المتحدة الامريكية وكندا في الوقت الذي ظهرت فيه الحاجة الملحة الى تلك العقول المهاجرة من اجل لعب دورها المتوقع في قيادة العمليات التنموية في بلدانهم الاصلية. الامر الذي ادى الى ظهور حالة من الشكوى والتذمر من هاتين الدولتين المستقطبتين للعقول الكفوءة من باقي انحاء المعمورة واصبحت ظاهرة هجرة الكفاءات العلمية من اعقد المشاكل التي تناولها الباحثون درسا وتحليلا محاولين وضع الحلول والمقترحات الناجعة للحد من تلك الظاهرة المخيفة على مستقبل الدول النامية والدول الصغيرة نتيجة الشدة وتنوع المنافسة في اساليب الاستقطاب لتلك الكفاءات وصعوبة الحفاظ عليها مستقرة في مواطنها الاصلية. كما ان هنالك تعريف اخر اوردته منظمة اليونسكو لظاهرة هجرة الكفاءات الدولية بانها نوع شاذ من انواع التبادل العلمي ما بين الدول يتميز يالتدفق باتجاه الدول الاكثر تقدما من الدول الاقل تقدما وهو ما اطلق عليه بعضهم بالنقل العكسي للتكنلوجيا[٤].

الاصول التأريخية واتجاهات هجرة الكفاءات

بدأت ظاهرة هجرة العقول العربية بشكل محدد منذ القرن التاسع عشر، و بخاصة في سوريا ولبنان والجزائر وليبيا ومصر ، حيث اتجهت هجرة الكفاءات العلمية السورية و اللبنانية إلى فرنسا و دول أميركا اللاتينية ، فيما

---

(٢) منصور مطني الراوي، سكان الوطن العربي التوزيع والهجرة والتحضر، الجزء الثاني، الطبعة الاولى، دار الشوؤن الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٩، ص١٨١.

(٣) عبدالناصر احمد عبدالسلام،هجرة الكفاءات العربية الاسباب والنتائج(العراق انموذجا)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاقتصاد، الاكاديمية العربية للعلوم الاقتصادية، كوبنهاكن، الدنمارك، ٢٠٠٩، ص٧٥.

(٤) عبدالناصراحمد عبد السلام، مصدرسابق، ص٧٦.

اتجهت الهجرة من الجزائر إلى فرنسا وليبيا الى ايطاليا . وفي بداية القرن العشرين ازدادت هذه الهجرة و لا سيما خلال الحربين العالميتين الأولى و الثانية ، و في السنوات الخمسين الاخيرة هاجر من الوطن العربي مابين ٢٥-٥٠% من حجم الكفاءات العربية . لذا فإن ظاهرة هجرة العقول أصبحت من أهم العوامل المؤثرة على الاقتصاد العربي، وعلى التركيب الهيكلي للسكان والقوى البشرية، واكتسبت هذه الظاهرة أهمية متزايدة عقب تضاعف أعداد المهاجرين ، وبخاصة من الكوادر العلمية المتخصصة وانعكاسات ذلك على خطط التنمية العلمية و الاقتصادية و الاجتماعية في الوطن العربي.

السكان والهجرة في الوطن العربي

تشير أحدث تقديرات الأمم المتحدة للوضع السكاني في العالم إلى أن مجموع سكان العالم العربي قد بلغ حوالي ٣٧٠،٥ مليون نسمة في ٢٠١٣ مرتفعاً من ٢٨٤،٤ مليون نسمة في عام ٢٠٠٠ مسجلاً معدل نمو سنوي يبلغ حوالي ٢% في المتوسط خلال تلك الفترة. وبذلك، يُشكل سكان الوطن العربي نحو ٥،٢% من جملة سكان العالم لعام ٢٠١٣، وتؤكد البيانات أن نصيب سكان الوطن العربي من جملة سكان العالم ارتفع مقارنة بعام ٢٠٠٠ حيث لم تتجاوز نسبتهم انذاك ٤،٦% ويمكن إرجاع تلك الزيادة إلى الارتفاع الذي طرأ على معدل نموهم السنوي، حيث ارتفع معدل نمو سكان الوطن العربي ارتفاعاً طفيفاً من ٢،٠٣ %خلال الفترة من ٢٠٠٠ إلى ٢٠١٠ ليصل إلى٢،٠٧% خلال الفترة بين عامي ٢٠١٠ و ٢٠١٣ وتجدر الإشارة إلى أن معدلات نمو السكان المسجلة في الوطن العربي تفوق المستوى العالمي، حيث إن سكان العالم نموا بمعدل سنوي قدره ١،٢% بين عامي ٢٠٠٠ و ٢٠١٠، وانخفض المعدل بعض الشيء ليصل إلى١،١٦%بين عامي ٢٠١٠و ٢٠١٣ وعند رصد حجم السكان في مختلف البلدان العربية يتضح أن مصر هي الأكبر من حيث العدد (٨٢،١ مليون نسمة)، وتأتي الجزائر في المرتبة الثانية ب ٣٩،٢ مليوناً، ثم السودان ١ في المرتبة الثالثة ب ٣٨ مليوناً، والعراق رابعاً بـ ٣٤ مليوناً، ويمثل مجموع سكان تلك البلدان الأربعة ٥٢% من جملة سكان الوطن العربي. وتتوالى البلدان العربية بعد ذلك من حيث الحجم من الأكبر إلى الأصغر كالآتي: المغرب ٣٣ مليوناً، السعودية ٢٩ مليوناً، اليمن ٢٤،٤ مليوناً، سوريا ٢٢ مليوناً، تونس ١١ مليوناً، الصومال ١٠،٥ ملايين، الإمارات ٩،٣ ملايين، الأردن٧،٢ ملايين، ليبيا ٦،٢ ملايين، لبنان ٤،٨ ملايين، فلسطين ٤،٢ ملايين، موريتانيا ٣،٩ ملايين، عمان ٣،٦ ملايين، الكويت ٣،٤ ملايين، قطر ٢،٢ مليون، البحرين ١،٣ مليون، جيبوتي ٨٧٣ ألفاً، وأخيرا جزر القمر ٦٨٣ ألفاً. من جانب آخر، بلغ عدد المهاجرين الدوليين في الوطن العربي ١٧،١ مليون نسمة عام ٢٠٠٠ بما يشكل حوالي ٦ % من جملة سكانه، وارتفع عدد المهاجرين إلى ٢٨،٨ مليون نسمة عام ٢٠١٠ ليمثل ما نسبته ٨،٣ % من السكان، واستمر تدفق المهاجرين الى الوطن العربي في الازدياد ليصل إلى حوالي ٣٠،٣ مليوناً عام ٣٠١٣ . وترجع النسبة العظمى من تلك الزيادة إلى ارتفاع أعداد المهاجرين الدوليين في بلدان الخليج. ويتبين من بيانات عام ٢٠١٣ حول أعداد المهاجرين الدوليين في الوطن العربي أن السعودية تستضيف أكبر عدد منهم، بنحو ٩،١ ملايين نسمة، وتليها الإمارات بنحو ٧،٨ ملايين نسمة، ثم الأردن بـ ٢،٩

مليون، وتحل الكويت في المرتبة الرابعة بحوالي ٢ مليون، ثم قطر بنحو ١،٦ مليون نسمة، ومن ثم تتوالى بقية الدول العربية. وفقاً لتقديرات عام ٢٠٠٠ ، تباين توزيع المهاجرين وفق الأقاليم الرئيسية للوطن العربي، حيث تركزت أكبر نسبة منهم في الخليج بنسبة تبلغ نحو٦٢ %، بينما حظي المشرق بما نسبة ٢٤% من جملة المهاجرين في العام ذاته، وتبعه كل من الجنوب والمغرب بنسبة ٦ و ٨ % على التوالي. وقد ارتفع نصيب الخليج من جملة المهاجرين في الوطن العربي إلى ٧٤ % وفقاً لبيانات عام ٢٠١٣ ، بينما تقلص نصيب بقية الأقاليم العربية مقارنة بما كان عليه الوضع عام ٢٠٠٠ ، حيث انخفض نصيب المشرق العربي إلى ٢٠ %، وتقلص نصيب المغرب العربي إلى ٤ % في حين بلغ نصيب الجنوب العربي من المهاجرين الدوليين٢% [٥].

وحول الهجرة الدولية من الوطن العربي، تُشير بيانات البنك الدولي إلى أن هناك حوالي ١٨،١ مليون مهاجر من إقليم الشرق الأوسط وشمال إفريقياعام ٢٠١٠ ، بما يشكل حوالي ٥،٣ % من جملة سكان الإقليم، وتتصدر مصر والمغرب وفلسطين والعراق والجزائر واليمن وسوريا والأردن ولبنان قائمة الدول العربية من حيث الهجرة للخارج، حيث يتجه غالبية المهاجرين من تلك الدول ٦٣،٤% إلى دول اوربا وامريكا الشمالية ودول العالم المتقدم الأخرى، و٣١،٥% إلى دول داخل بلدان الوطن العربي، وحوالي١،٢% إلى دول نامية أخرى.

المبحث الثاني

الاسباب والدوافع لهجرة الكفاءات العلمية العربية

ان دراسة اسباب هجرة الكفاءات هي الاساس المنطقي لاقتراح المباديء والسياسات التي يمكن ان تتخذ للحد منها او لمواجهة الاثار السلبية المترتبة عليها. وعند مراجعة معظم الدراسات المتوافرة * نجد ان تفسيرات ظاهرة هجرة الكفاءات تتراوح في اتجاهين:

الاول: يعالج الظاهرة من منظور فردي بالاساس، مؤداه ان الكفاءات افراد متميزون يسعون لتحقيق ذاتهم فكرياً ومهنياً ولضمان ظروف عمل ومعيشة مريحة تكفل لهم حرية التفكير وامكانية الابداع، ولما كان هذا المسعى

---

(٥) التقرير الاقليمي للهجرة الدولية العربية، جامعة الدول العربية، قطاع الشؤون الاجتماعية، ادارة السياسات السكانية والمغتربين والهجرة، ٢٠١٤، ص٩.

* ينظر من بين هذه الدراسات على سبيل المثال لا الحصر : منصور الراوي، دراسات في السكان والعمالة والهجرة في الوطن العربي، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٩١، ص٣٥-٣٩. ينظر كذلك : انطوان زحلان، هجرة الكفاءات العربية، السياق القومي والدولي، مجلة المستقبل العربي، العدد(١٥٩)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٢، ص١٦-٢٠، وينظر ايضا، محمد هشام، استنزاف العقول العربية، نتائج الظاهرة واسبابها السياسية والاجتماعية، مجلة المستقبل العربي، العدد(٢٢)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٠، ص ٤٤-٤٩.

يحبط في اغلب الاحيان الدول النامية، ومن ضمنها بلدان الوطن العربي، فان هذه الكفاءات تجد لها مكاناً، ان استطاعت في بلدان الغرب المصنعة. وتستمد المدرسة اصولها الفكرية من التحليل الاقتصادي وبعض المعالجات النفسية والاجتماعية.

الثاني: يتناول هجرة الكفاءات من حيث انها (ظاهرة عالمية) تمتد جذورها عميقاً في نظام الاقتصاد– السياسي الذي يسيطر على العالم، وعليه فان تفسير الظاهرة يكمن في الخصائص الجوهرية للنظام الاقتصادي العالمي خاصة تلك المتعلقة بقيام سوق دولية للكفاءات.

فهذا الاتجاه (الاقتصادي– السياسي) يرى ان السبب الجوهري لهجرة الكفاءات هو الارتباط العضوي للبلدان العربية بمركز النظام الرأسمالي العالمي في دول الغرب المصنعة في علاقة تخلف وتبعية ذات ابعاد سياسية واقتصادية وثقافية ويقوم هذا الارتباط العضوي ، فيما يتعلق بهجرة الكفاءات على دعامتين اساسيتين:

- سوق دولية للكفاءات هي امتداد طبيعي، يحمل معه مزايا فردية ضخمة لسوق العمل ببلدان الاصل.
- خلفية المنافسة الفردية في الاطار الرأسمالي المشوه السائد في بلدان العالم الثالث، والتي تدفع الفرد للسعي لتحقيق اعلى مستوى من الرفاه الاجتماعي.

وبشكل اكثر تفصيلاً يمكن ان نحدد اسباب هجرة الكفاءات العربية بالدوافع الاتية:

١- الدوافع الاجتماعية :

وتتمثل بالصفات الاجتماعية السلبية التي يمكن ان تقود الى خيبة امل ويأس لدى الكفاءات العلمية وتدفعها للهجرة للهجرة خارج الوطن العربي منها ارتفاع معدلات النمو السكاني غير المخطط واثره على زيادة اعداد الشباب الامر الذي يؤدي الى انتشار البطالة اذ امست مشكلة العمالة بشكل عام وتوظيف الخريجين من الشباب على وجه الخصوص مصدر قلق كبير للبلدان العربية، فجميع هذه البلدان تضم نسباً عالية من البطالة كما يبين ذلك جدول (١) الذي يقارن معدلات البطالة في الشرق الاوسط وشمال افريقيا والعالم، فمن الواضح ان معدل البطالة في منطقة الشرق الاوسط وشمال افريقيا هو تقريباً ضعف المتوسط العالمي، وارتفع معدل البطالة بين الشباب في عام ٢٠١١ الى ٢٦،٢% اي ان اكثر من ربع الشباب عاطلون عن العمل اما في شمال افريقيا فان معدل البطالة بين الشباب كان يقرب من ٢٩% عام ٢٠٠٠، انخفض بعد ذلك الى ٢٣% عام ٢٠١٠، لكن تحت وطأة الازمات السياسية والاجتماعية في المنطقة ارتفع هذا المعدل من جديد الى ٢٧% عام ٢٠١١.

هناك عدة عوامل تفسر هذا الارتفاع في معدلات البطالة، فاضافة الى كون اغلب الدول العربية تعيش فترة متقدمة من مرحلة الانتقال الديموغرافي تتجلى في تقليص وتيرة النمو الديموغرافي نتيجة انخفاض معدل الخصوبة وتزايد حجم السكان

الجدول (١)

معدل البطالة العام ومعدل بطالة الشباب في دول الشرق الاوسط وشمال افريقيا والعالم

المجال	الشرق الاوسط		شمال افريقيا		العالم	
السنة	المعدل العام	الشباب	المعدل العام	الشباب	المعدل العام	الشباب
٢٠٠٠	١٠،٥	٢٣،٨	١٣،٦	٢٨،٨	٦،٣	١٢،٨
٢٠٠٥	١١،٢	٢٥،٤	١١،٥	٢٧،٢	٦،٢	١٢،٩
٢٠٠٦	١٠،٩	٢٥،٥	١٠،٥	٢٥،٢	٥،٨	١٢،٤
٢٠٠٧	١٠،٣	٢٤،٩	١٠،١	٢٣،٨	٥،٥	١٠،٧
٢٠٠٨	١٠،٤	٢٥،٧	٩،٦	٢٣،١	٥،٦	١١،٩
٢٠٠٩	١٠،١	٢٥،٢	٩،٦	٢٣،٦	٦،٢	١٢،٨
٢٠١٠	٩،٩	٢٥،٤	٩،٦	٢٣،٠	٦،١	١٢،٨
٢٠١١	١٠،٢	٢٦،٢	١٠،٩	٢٧،١	٦،١	١٢،٧

المصدر: المكتب الدولي للعمل، اتجاهات التوظيف العالمية ٢٠١٢، الامم المتحدة، جنيف، قاعدة البيانات الدولية والاقليمية للعمالة.

النشطون المقبلون على سوق العمل[٦]، هناك عوامل اخرى تعمل في نفس الاتجاه منها تزايد أعداد الخريجين الحاصلين على شهادات عليا والباحثين عن العمل اذ بذلت الدول العربية مجهودات مهمة من أجل تطوير تعليمها العالي كما يبرز ذلك معدلات التسجيل الخام في المؤسسات الجامعية (جدول٢) وإعتباراً للتدفقات المتزايدة بإستمرار للحاصلين على شهادات التعليم العالي، فإن دول المنطقة تعاني من معدلات بطالة مرتفعة بالنسبة لهذه الفئة من السكان النشطين، ومما يعقد الأمور بالنسبة للتقليص من حجم البطالة، أن هؤلاء الشباب يفضلون العمل في القطاع العام الذي يظل أكبر مشغل في أغلب البلدان العربية (١٤%إلى ٤٠% من مجموع السكان النشطين) [٧]

(٦) التقرير الاقليمي للهجرة الدولية العربية، مصدر سابق، ص٥٩.

(٧) المصدر نفسه، ص ٦٣.

جدول (٢)

معدلات التسجيل الخام في التعليم العالي للدول العربية الموفدة

الدولة	لبنان	فلسطين	الاردن	تونس	الجزائر
المعدل %	٥،٥٢	٧،٤٥	٧،٤٠	٤،٣٤	٦،٣٠
الدولة	مصر	العراق	المغرب	اليمن	موريتانيا
المعدل%	٥،٥٢	٥،١٥	٩،١٢	٢،١٠	٨،٣

المصدر :برنامج الأمم المتحدة للتنمية : تقرير حول التنمية الإنسانية,٢٠١١

٢- الدوافع الاقتصادية:

يؤثر العامل الاقتصادي على الكفاءات العلمية العربية وغير العربية في اتجاهات متباينة سلبية وايجابية فقلة العائدات المالية التي يحصل عليها الكفاءة العلمية يمكن ان تؤثر سلباً على احساسه بالحد الادنى من الاستقرار النفسي ولتفرغ للمجالات العلمية والبحث العلمي، تاكيداً لذلك يقول احد العلماء: ((ان المعدة الجائعة لاتستطيع ان تفكر)) كما يضيف ((ان الجسم المريض من سوء التغذية وضآلة الدخل لايمكنه ان ينتج اي نوع من انواع الانتاج ولهذا كانت الدول المتقدمة تعتبر من خلال انظمتها الاقتصادية وجداول رواتبها المتنافسة مع التخصصات المهنية لافرادها معياراً اساسياً لتقدمها الحضاري ووزنها الاجتماعي[٨].

تبين لنا المقولة اعلاه ان الفساد والتخلف الاقتصادي وغياب التخطيط وانخفاض مستوى الدخل وعدم الاستقرار الوظيفي والمهني كلها عوامل تدفع بالكفاءات العلمية العربية للبحث عن مصادر اخرى للعيش داخل الوطن العربي كما حدث في العراق في فترة الحصار الاقتصادي في التسعينات حيث سافر العديد من المدرسين واساتذة الجامعات الى دول عربية مثل الاردن وليبيا واليمن نظراً لتردي ظروفهم المعيشية. ان استمرار التخلف الاقتصادي واعتبار الوطن العربي سوقاً استهلاكية للكبرى وعدم وجود سلم للرواتب على اسس ثابتة بل يخضع ذلك لاعتبارات متعددة ذاتية وشكلية[٩] كلها عوامل تدفع بالكفاءات العلمية للهجرة خارج الوطن العربي.

٣- الدوافع السياسية:

تلعب الاوضاع السياسية دوراً كبيراً في بقاء او دفع الكفاءات العلمية للهجرة خارج الوطن فالاستقرار السياسي او عدمه والحرية الفردية او الكبت السياسي وتقدير العقول العلمية او اهمالها وعدم الاهتمام بها كلها عوامل دفع او عوامل جذب للكفاءة العلمية.

ان ظروف الاستقرار السياسي تساعد في كثير من الاحيان على التطور التنموي الشامل وتسهم في خلق مناخ علمي وعملي مناسب للكفاءة العلمية اذ ارخت الصراعات العربية – العربية او العربية – الاجنبية او صراعات

---

(٨) عطوف محمود ياسين، هجرة العقول العربية الى الدول التكنلوجية، دار الاندلس، بيروت، ١٩٨٤،ص٤٢.

(٩) محمد عبدالعليم مرسي، نزيف العقول البشرية، عالم الكتاب، الرياض، ١٩٨٢، ص٨٢-٩٤.

ايديولوجية وصراعات دموية طائفية او عشائرية او حزبية وغيرها[١٠] فانها تعتبر عوامل غير مشجعة على الاستقرار والمشاركة العلمية وبالتالي اعتبارها عوامل دافعة للكفاءات العلمية وتجعلها تبحث عن مجتمعات اكثر استقراراً وامناً واطمئناناً لانها تقيد حريتها الفردية.

وفي دراسة لاكاديمين عراقيين اجروها حول نزوح الكفاءات العلمية في العراق من ذوي تخصصات مختلفة في الطب والهندسة والاقتصاد والمحاسبة للفترة من عام ١٩٩١ – ١٩٩٨ فقد اظهرت تلك الدراسة ان ٧٣٥٠ عالما عراقيا من بينهم ٦٧% استاذا جامعيا و ٢٣% باحثا علميا انخرطوا في مؤسسات ومراكز بحثية توزعت جغرافيا بين اوروبا، امريكا و كندا، و بلغت الخسائر العراقية من هجرة العلماء والكفاءات ما بعد عام ٢٠٠٣ بعد تغيير النظام السياسي العراقي الى هجرة اكثر من ١٧ الف اكاديمي ناهيك عن ٨٥% من عمليات الاغتيال التي تمت بحق الكفاءات العراقية منها ماتم بدوافع سياسية بحتة ونسبة ضئيلة منها كان محركها الدوافع الاجرامية . فمنذ عام ٢٠٠٤ حتى عام ٢٠٠٦ وعلى ضوء معطيات وتقديرات الجمعية الطبية العراقية فقد ارغم الى الهجرة ما يقارب من ٣٢٠٠ طبيبا اي ما يعادل نسبته الى ١٠% من اجمالي عدد الاطباء المسجلين لديها والبالغ عددهم ب ٣٢ الف طبيب([١١]).

٣- الدوافع الاكاديمية او الثقافية والعلمية:

غالا ماتشعر الكفاءات العلمية العربية خاصة التي تلقت تعليمها في خارج الوطن العربي بالغربة والحيرة في مجتمعاتها نتيجة لطبيعة العلاقات العلمية والثقافية التي تسود المجتمعات العربية او نتيجة للفارق في الفهم الاجتماعي الذي يسود او يفصل بينها وبين عامة الشعب، بالاضافه الى ذلك فان النظام التعليمي في الوطن العربي يعمل على دفع الكفاءات العلمية العربية للهجرة وذلك لاسباب منها على سبيل المثال لا الحصر العمل على اعداد كفاءات علمية بأعداد كبيرة في مجالات معينة بحيث لاتقوى اقتصاديات بعض الاقطار العربية على استيعابها في حين يوجد نقص في تخصصات اخرى، وهذا ناتج عن سوء التخطيط العلمي وسيطرة القواعد الادارية الفاسدة واللوائح البيروقراطية على طريقة التعليم في البلدان العربية. ان تخلف مستوى الدراسات العليا في الوطن العربي واستبدال هذه الحالة بارسال المتفوقين للدراسة في الدول الاجنبية ونقص تسهيلات البحث العلمي ومحاربة الشباب المتعلم وتقييد الانفاقات على وسائل البحث العلمي عوامل تقود او تدفع بالكفاءات العلمية العربية للهجرة خارج اوطانها[١٢].

---

(١٠) محمد جابر الانصاري، النزاعات الاهلية العربية العوامل الداخلية والخارجية، مركزدراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٧، ص١١٣.

(١١) ناظم الجواهري، لماذا تستمر هجرة الكفاءات العلمية الى الخارج ، جريدة المؤتمر ، العدد ١٠٢٤ ، ١٨- شباط – ٢٠٠٦ .

(١٢) عامر ابراهيم حسن، المهاجرين العرب الى الولايات المتحدة الامريكية، مجلة افاق عربية، العدد(٧)، بغداد، ١٩٧٧، ص٦٣-٦٧.

٤- العوامل الجاذبة والمستقطبة للكفاءات العلمية:

تدفع عوامل أخرى خارجية ذات طبيعة سياسية ومهنية هذه النخبة إلى الهجرة ، فيما يخص الشق السياسي، تجدر الاشارة إلى أن العجز الحاصل في الكثير من القطاعات دفع حكومات هذه الدول إلى بلورة سياسات منفتحة على توظيف هذه الكفاءات ففي دول منظمة التعاون والتنمية الإقتصادي* تظل ملاءمة الهجرة لحاجيات سوق العمل أولوية« كما جاء ذلك » أساسية للسلطات العمومية في تقرير لهذه المنظمة من أجل توظيف هذه الكفاءات، تحدد هذه الدول لوائح للمؤهلات التي تحتاجها كأساس لاختيار المهاجرين مع تحديث هذه اللوائح باستمرار، ففي المملكة المتحدة على سبيل المثال، تراجع اللجنة الإستشارية Migration Advisory) (Committee للهجرة على الأقل جزءاً من هذه اللوائح كل ستةأشهر .وفي ألمانيا، ومن أجل الحصول على بيانات دقيقة حول حاجيات سوق العمل، وضعت الوزارة الاتحادية للعمل والشؤون الإجتماعية نظاماً لرصد هذه الحاجيات .وقد ظهرت النتائج الأولى لهذا النظام في خريف ٢٠١١ وفي دأبها للبحث عن الكفاءات، أصبحت الكثير من الدول كأستراليا والمملكة المتحدة وكندا والدنمارك وهولندا تطبق نظام النقط وتستند في إختيارها لتلك الكفاءات على عدة معايير لخصائص الوظيفة المقصودة، الخبرة المهنية، الشهادات المحصل عليها[١٣].

المبحث الثالث:

حجم الكفاءات العلمية العربية المهاجرة

ان استنزاف العقول عادة ما تتم بين الدول المتخلفة (الفقيرة) والدول المتقدمة (الغنية). حيث ان عملية استنزاف العقول الكفوءة تسير دائما باتجاه واحد اي منها الى صالح الدول المتقدمة وبدرجة اقل الى دول نامية اخرى. وطبقا للاحصائيات الامريكية للفترة ما بين ١٩٦٠- ١٩٨٧ فقد شهدت الولايات المتحدة الامريكية هجرة اكثر من ٨٥٠ الف كفاءة علمية من الدول النامية والجدول التالي يبين حركة وانتقال المهارات العربية الى دول منظمة التعاون الاقتصادي لعام ٢٠٠٠:

الجدول (٣) حركة وانتقال المهارات العربية الى دول منظمة التعاون الاقتصادي لعام ٢٠٠٠

---

* **منظمة التنمية والتعاون الاقتصادي** (بالإنجليزية: Organisation for Economic Co-operation and Development) واختصارها **OECD** هي منظمة دولية مكونة من مجموعة من البلدان المتقدمة التي تقبل مبادئ الديمقراطية التمثيلية واقتصاد السوق الحر. نشأت في سنة ١٩٤٨ عن منظمة التعاون الاقتصادي الأوروبي العملية(OEEC) التي يتزعمها الفرنسي روبير مارجولين ،للمساعدة على إدارة خطة مارشال لإعادة ‘عمار أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية. وبعد فترة تم توسيعها لتشمل عضويتها بلدان غير اوروبيه، وفي سنة ١٩٦٠ تم إصلاحها لكي تكون منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية وهي الان تضم معظم الدول الاوربية الصناعية والولايات المتحدة الامريكية وكندا واليابان واستراليا وكوريا الجنوبية واسرائيل.

(١٣)التقرير الاقليمي للهجرة الدولية العربية، مصدر سابق،ص٥٣.

البلـد	مهارة قليلة اقل من ٨ سنوات تعليم	مهارة متوسطة ٩ – ١٢ سنة تعليم	مهارة عالية ١٣ سنة واكثر تعليم	المجموع
الجزائر	٧٦،٧	٩،٢	١٤،١	١٠٠
مصر	١٨،٣	٢٢،٦	٥٨،٩	١٠٠
ايران	١٧،٠٠	٢٤،٥	٥٨،٦	١٠٠
العراق	٣٤،٨	٢٦،٦	٣٨،٦	١٠٠
اسرائيل	١٤،٧	٢٧،٦	٥٧،٦	١٠٠
الاردن	١٦،٤	٢٨،٠	٥٥،٦	١٠٠
الكويت	١١،٩	٢٠،٢	٦٧،٨	١٠٠
لبنان	٣٠،٤	٢٥،١	٤٤،٥	١٠٠
ليبيا	٢٢،٩	٢٣،٠	٥٤،١	١٠٠
المغرب	٧٠،٦	١٦،٥	١٢،٩	١٠٠
عمان	٢١،٩	١٥،٤	٦٢،٧	١٠٠
قطر	١٥،٢	١٥،٢	٦٩،٦	١٠٠
السعودية	١٣،٤	٢٢،٠	٦٤،٦	١٠٠
سوريا	٣١،٠	٢٤،٧	٤٤،٣	١٠٠
تونس	٧٣،٠	١٢،١	١٤،٩	١٠٠
الامارات العربية	١٦،٨	١٥،٨	٦٧،٣	١٠٠
قطاع غزة	١٥،٨	٢٩،١	٥٥،٠	١٠٠
اليمن	٣٣،٧	٣١،٩	٣٤،٥	١٠٠

المصدر: عبد الناصر احمد عبدالسلام البدراني،مصدر سابق، ص٧٨.

لا يوجد بلد عربي إلا ويعاني هجرة كثير من عقوله وكفاءاته العلميه للخارج. إما للدراسة والتحصيل العلمي العالي، أو للعمل في مختلف حقول البحث العلمي المتعدد والمتنوع من الطب والهندسة والفيزياء وعلوم الذرة وغيرها. وتقول الإحصائيات إن أكثر من ثلث الكفاءات العلمية انتقل من افريقيا إلي أوروبا في عقد الثمانينيات من القرن الماضي، وإن كندا والولايات المتحدة هما من أكثر الدول انفتاحا وقبولا واستيعابا لتلك العقول والكفاءات العربية المهاجرة، وقد قبلتا خلال الفترة الواقعة ما بين عامي ١٩٦٠ و١٩٩٠ أكثر من مليون مهاجر مهني وفني من مختلف الدول النامية ومنها دولنا العربية التي تعج ولا شك بآلاف مؤلفة من المبدعين والمخترعين والمكتشفين والعقول النيرة. وإذا ما حاولنا إعطاء إحصائيات أكثر دقة عن موضوع هجرة العقول العربية للخارج، فإننا سنجد صعوبة بالغة ولا شك بسبب عدم قيام أي دولة عربية بواجبها علي هذا الصعيد، وتؤكد الدراسات أن أكثر من حوالي ٧٠ ألفا من أصل ٣٠٠ ألف من حملة البكالوريوس والماجستير من العرب في عام ١٩٩٥. ١٩٩٦ قد هاجروا، وأن عدد المهاجرين من الأطباء العرب عام ٢٠٠٠ فقط بلغ نحو ١٦ ألفا. ويبلغ حملة الدكتوراه العرب في الخارج ١٥٠ ألفا، أي ما يعادل ربع حملة الدكتوراه في الولايات المتحدة وثلاثة أرباع حملة الدكتوراه من العرب، أما أصحاب المهن الطبية الذين هاجروا إلي أوروبا فقد فاقوا الـ١٥ ألفا بين ١٩٩٩ و٢٠٠١[١٤].

ان معطيات إحصائية تقريبية لم تتوفر فيما يخص حجم الهجرة بصفة عامة، لذا نفتقر إلى معطيات رقمية حول النخب والكفاءات .فالظاهرة يصعب تقييمها ، ومما يزيد في تعقيد الأمور بروز قنوات جديدة للتوظيف غير القنوات التقليدية، ويتعلق الأمر بشبكة الانترنت، فهذه الوسيلة تمكن الآن من البحث عن الكفاءات المرغوب في توظيفها أينما كانت في أجل سريع وبكلفة ضعيفة .فحسب دراسة قامت بها مؤسسة ستيبستون (STEPSTONE) وهو موقع متخصص في التوظيف عبر الانترنت، وللأرقام المتوفرة دلالة آنية، فان عدد السير الذاتية على الشبكة إرتفع من ٢٥ ألف سنة١٩٩٤ الى ٧،٦٥مليوناً سنة ٢٠٠٠ ثم الى ١٤ مليوناً سنة ٢٠٠٢ على كل، تظل المعطيات حول هجرة الكفاءات نادرة وعندما توجد، فإنها تظل تقريبية. فإجمالاً، يقيم في منظمة التعاون والتنمية الإقتصادية حوالي ٢٠ مليون من الأشخاص ذوي الكفاءات العالية، وهو عدد يتزايد باستمرار فمثلاً هذا العدد كان لا يتعدى سنة ١٩٩٠ مليون شخصاً ، وتظل المنطقة العربية من أهم مصادر هذه الهجرة فالإحصاءات المتوفرة هي التي تنشرها هذه المنظمة ومرجعها سنة ٢٠٠٠ ، الجدول (٤) نقدمها كمؤشر لحجم هذه الهجرة، فنسبة هجرة الحاصلين على شهادات عليا مقارنة مع عدد المهاجرين إلى بلدان المنظمة تختلف من بلد إلى اخر وقد تصل أحيانا إلى مستويات عليا في بعض البلدان، فهي بالنسبة للبنان

---

(١٤) عاطف زايد، هجرة العقول الى الخارج، جريدة الاهرام، العدد ٥٠٨، بتاريخ ٢٠١٢/٥/١١ على الموقع الالكتروني: http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx

٣٧،٦% والمغرب ١٧% والعراق ١١،١% وجيبوتي ١١،١% والجزائر ٩،٤%والأردن ٧،٢% وفلسطين وسوريا ٦،١%.

الجدول (٤)

اعداد الاطباء المهاجرين من البلدان العربية لعام ٢٠٠٠

البلد	العراق	مصر	جيبوتي	البحرين	الجزائر	موريتانيا	ليبيا	لبنان	الكويت	الاردن
الاطباء المهاجرون	٢٨٧١	٧٧٩١	٢٦	٢٩	١٠٨٦٠	٤٣	٨٠٠	٣٠٤٢	١٢٢	٨٧٨
البلد	اليمن	فلسطين	الامارات	المغرب	تونس	سورية	السودان	الصومال	السعودية	عمان
الاطباء المهاجرون	٤٧	١٥	٢٥٨	٦٥٤	٢٢٢	٣٩٦٦	١٠٨٣	٩٨	٣٥٩	١٢

التقرير الاقليمي للهجرة الدولية العربية، مصدر سابق،ص٥٦.

وفي عرض موجز لبعض من الحقائق حول الاضرار التي لحقت قي اقتصاد البلدان العربية والموثقة لدى جامعة الدول العربية ومراكز الدراسات المعنية بالرصد والتحليل والعرض لكي نستطيع ان نشكل بعضا من ملامح الصورة المفزعة التي يبدوعليها اليوم واقعنا التنموي في البلدان العربية:

- فقي تقرير للجامعة العربية حول مخاطر هجرة العقول العربية الى الدول الغربية اظهر ان الدول العربية تتكبد خسائر مادية تربوا عن ٢٠٠ بليون دولار امريكي سنويا.
- ان عدد العلماء والاطباء والمهندسين من ذوي الكفاءات والمهارات العلمية المتخصصة قدر بمالايقل عن ٤٥٠ الف كادر يعملون خارج حدود بلدانهم العربية.
- اظهر مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية ان ٥,٤% من الطلبة الذين يتلقون علومهم في الخارج يعودون الى اوطانهم الاصلية بينما يبقى الاخرون حيث هم .
- مستوى الانفاق الحكومي على مراكز البحث العلمي مقارنة ببقية دول العالم هي جد متواضعة. فقد اظهرت تقارير حديثة للجامعة العربية ان الدول العربية تنفق دولار واحدا على كل باحث بينما تنفق الولايات المتحدة الامريكية والدول الاوربية على التوالي ٧٠٠ دولار ، ٦٠٠ دولار. في الوقت الذي نجد فيه ان نسبة الباحثين لكل مليون مواطن في الدول العربية قد بلغ مايربوا عن ٣١٨ باحثا بينما يبلغ عدد الباحثين لكل مليون مواطن في الدول المتقدمة الى مايربوا عن ٤٥٠٠ باحث.
- ان ٧٥% من الكفاءات العربية تتجه الى ثلاث دول رئيسية الولايات المتحدة الامريكية، بريطانيا،كندا.

- اكثر من ٢٠٠٠ طبيب عراقي ذي اختصاصات عالية ودقيقة تعمل في المستشفيات البريطانية.
- انفق العرب في ٢٠ عاما أكثر من ثلاثة آلاف مليار دولار على برامج تنموية فاشلة.

الآثار السلبية لهجرة العقول على البلدان العربية :

تفرز هجرة العقول العربية إلى البلدان الغربية عدة آثار سلبية على واقع التنمية في الوطن العربي.ولا تقتصر هذه الآثار على واقع ومستقبل التنمية الاقتصادية والاجتماعية العربية فحسب ولكنها تمتد أيضاً إلى التعليم في الوطن العربى ، وإمكانات توظيف خريجيه في بناء وتطوير قاعدة تقنية عربية. ومن أهم الانعكاسات السلبية لنزيف العقول(١٥) :

- ضياع الجهود والطاقات الإنتاجية والعلمية لهذه العقول العربية التي تصب في شرايين البلدان الغربية بينما تحتاج التنمية العربية لمثل هذه العقول في مجالات الاقتصاد والتعليم والصحة والتخطيط والبحث العلمي و التقنية .
- تبديد الموارد الإنسانية والمالية العربية التي أنفقت على تعليم وتدريب الكفاءات التي تحصل عليها البلدان الغربية بدون مقابل .
- ضعف وتدهور الإنتاج العلمي والبحثي في البلدان العربية بالمقارنة مع الإنتاج العلمي للعرب المهاجرين إلى البلدان الغربية .

ومما يلفت النظر في الوطن العربي أنه مع ازدياد معدلات هجرة العقول العربية إلى الغرب يزداد اعتماد غالبية البلدان العربية على الكفاءات الغربية في ميادين شتى بتكلفة اقتصادية مرتفعة ومبالغ فيها في كثير من الأحيان .. وبعبارة أخرى فإن البلدان العربية تتحمل ، بسبب هذه الهجرة ، خسارة مزدوجة لضياع ما أنفقته من أموال وجهود في تعليم وإعداد الكفاءات العربية المهاجرة ، ومواجهة نقص الكفاءات وسوء استغلالها والإفادة منها عن طريق الاستعانة بالكفاءات الغربية بتكلفة كبيرة .

إن البحث في مسألة هجرة العقول العربية يطرح التساؤل التالى :

" لماذا تخفق البلدان العربية في بذل الجهود اللازمة لجذب علمائها وفنييها ذوي المهارات العالية والدقيقة في حين نجحت دول أخرى في ذلك ؟ ".

إن جانبا من الإجابة على هذا السؤال يكمن في الأسباب الدافعة للهجرة والتي سبق أن أشرنا إليها . ولكن ثمة جوانب أخرى يمكن توضيحها فيما يلى :

---

(١٥) ابراهيم قويدر، مصدر سابق، ص١٨.

- إن الدول العربية تفتقد ما يمكن أن يطلق عليه " مشروع التنمية المتوازنة والشاملة "، والذي من أهم عوامله خلق وتعزيز البيئة الفكرية والعلمية والثقافية التي توفر مقومات العمل والاستقرار المعيشي والنفسي والإنتاج العلمى .

- إن معظم المشروعات التي تقام في البلدان العربية تنفذها في أغلب الأحيان شركات أجنبية للاستشارات والمقاولات ، مع مشاركة وطنية في الحدود الدنيا . والنموذج السائد في البلدان العربية لتنفيذ المشروعات هو نمط الصفقات التي لا تنطوي ، في أغلب الأحيان ، على نقل التكنولوجيا إلى الكوادر الوطنية ، بل إقامة مشروعات الإنتاج الجاهزة وفق نموذج " تسليم المفتاح " . ومن الواضح أن هذه الطريقة في التعامل لا تتيح للعلماء والخبراء العرب إلا القليل من فرص العمالة وإثبات الجدارة ، الأمر الذي يشعر أصحابها بالاغتراب في أوطانهم وتشكل دافعا للهجرة . هذا فضلا عن أن هذه الظاهرة تشكل تبديدا كبيرا للموارد العربية في استيراد التكنولوجيا الجاهزة من البلدان الصناعية الغربية ، الأمر الذي يعنى صرف النظر عن توفير الدعم المالي اللازم لأنشطة البحث العلمي اللازم لبناء قاعدة تقنية عربية .

- فقدان أي نوع من الوحدة أو التكامل أو حتى التنسيق بين البلدان العربية في معالجة موضوع هجرة العقول أو استخدام الكفاءات الوطنية وأصحاب الخبرات من العلماء والمهندسين والأطباء وغيرهم .

- أن هجرة العقول تؤدي إلى توسيع الهوة بين الدول الغنية والدول الفقيرة. لأن هجرة أصحاب الكفاءات إلى الدول المتقدمة تعطي هذه الدول فوائد كبيرة ذات مردود اقتصادي مباشر بينما تشكل بالمقابل خسارة كبيرة جدا للبلدان التى نزح منها أولئك العلماء ، وخاصة لأن التكنولوجيات والاختراعات المتطورة التي أبدعها أو أسهم في إبداعها أولئك العلماء المهاجرون تعتبر ملكا خالصا للدول الجاذبة .

وتعتبر منظمة اليونسكو أن هجرة العقول هي نوع شاذ من أنواع التبادل العلمي بين الدول يتسم بالتدفق في اتجاه واحد (ناحية الدول المتقدمة) أو ما يعرف بالنقل العكسي للتكنولوجيا ، لأن هجرة العقول هي فعلا نقل مباشر لأحد أهم عناصر الإنتاج ، وهو العنصر البشرى .

محاولات الدول العربية لإعادة العقول العربية المهاجرة :

حاولت بعض الدول العربية تقديم إغراءات معينة وحوافز لعودة الكفاءات العلمية من خلال سن القوانين التى تمنح العائدين عددا من المزايا المالية ، وأهم هذه القوانين إصدار العراق لقانون عودة ذوى الكفاءات العلمية إلى الوطن رقم (١٨٩) لعام ١٩٧٢ ، ثم قرار مجلس قيادة الثورة رقم (٩) الذى أعقبه القانون الشامل رقم (١٥٤) لعام ١٩٧٤ لرعاية أصحاب الكفاءات . وقد منح هذا القانون والروافد التشريعية الأخرى المكملة له للعرب حق التمتع بالجنسية العراقية وحرية الإقامة والعمل فى العراق ، ومنح العائدين من ذوى الكفاءات العلمية منحا وقروضا وأراضى بناء وإعفاءات جمركية على الأثاث والسيارات .

وحاولت كل من ليبيا والكويت توفير مراكز بحوث علمية لجذب عدد من العلماء العرب بالخارج ، حيث أدت جهود الكويت إلى إنشاء معهد للبحوث العلمية استقطب عددا محدودا من الكفاءات العلمية المهاجرة ، أما فى ليبيا فقد تم إنشاء معهد الإنماء العربى فى كل من طرابلس وبيروت استقطبا عددا من الباحثين العرب بينهم عدد محدود من المهاجرين .

ومن ثم فإن الجهود المتعددة للدول العربية لإعادة الكفاءات العلمية تبدأ فى الأساس من تغيير البنية الأساسية الفكرية وتطويرها حتى تكون بيئة علمية صالحة لجذب العقول الفكرية العربية المهاجرة إلى بلادها من أجل الاستفادة من مهاراتهم وعقولهم .

محاولات وقف نزيف العقول العربية :

إن الخطورة التي تشكلها هجرة العقول العربية على المخططات التنموية العربية بصورة خاصة تتطلب إيجاد حلول للحد من هذه الظاهرة تمهيدا لوقفها. والحل الأمثل هو في وضع استراتيجية عربية متكاملة للتصدي لهذه المشكلة . وينبغي أن تشارك في وضع هذه الاستراتيجية كل من جامعة الدول العربية ، ومنظمة العمل العربية ، والمجلس الاقتصادي والاجتماعي العربي ، والمنظمات العربية غير الحكومية المهتمة بهذا الموضوع ، مع الاستفادة من خبرات منظمة اليونسكو ومنظمة العمل الدولية التي تملك خبرات ودراسات جادة حول هذه المشكلة .

ويمكن للاقتراحات التالية أن تشكل إسهاما في هذا المجال :

- إجراء مسح شامل للكفاءات العربية المهاجرة بهدف التعرف على حجمها ومواقعها وميادين اختصاصها وارتباطاتها وظروف عملها .
- صياغة سياسة عربية مركزية للقوى العاملة على أساس تكامل القوى العاملة العربية بحيث تمكن الدول العربية التي تواجه اختناقات في مجال القوى العاملة من التخلص من فوائضها، و تتيح للبلدان العربية الأخرى التي تواجه عجزا في هذا الميدان سد العجز لديها .
- وضع البرامج الوطنية لمواجهة هجرة العقول ، وإنشاء مراكز للبحوث التنموية والعلمية ، والتعاون مع الهيئات الدولية والإقليمية المعنية لإصدار الوثائق والأنظمة التي تنظم أوضاع المهاجرين من العلماء وأصحاب الكفاءات .
- حث الحكومات العربية على تكوين الجمعيات والروابط لاستيعاب أصحاب الكفاءات المهاجرة من بلدانها ، وإزالة جميع العوائق التي تعيق ربطهم بأوطانهم، ومنحهم الحوافز المادية ، وتيسير إجراءات عودتهم الى أوطانهم للمشاركة فى عملية التنمية والتحديث .
- تنظيم مؤتمرات للمغتربين العرب وطلب مساعدتهم وخبراتهم سواء في ميدان نقل التكنولوجيا أو المشاركة في تنفيذ المشروعات .

- التعاون مع منظمة اليونسكو لإقامة مشروعات ومراكز علمية في البلدان العربية لتكوين كوادر وكفاءات عربية ، واجتذاب العقول العربية المهاجرة للإشراف على هذه المراكز والإسهام المباشر في أعمالها وأنشطتها.

توصيات حول الهجرة :

فى خاتمة هذه الورقة الذى تحدثنا فيها عن الهجرة ، سوف نطرح مجموعة من التوصيات التى يمكن أن تشكل فى مجموعها سياسة اجتماعية للتعامل مع قضية مستقبل العمالة العربية فى ظل تحديات النظام العالمى الجديد :

١- مراجعة سياسات التشغيل فى الدول العربية والعمل على إعطاء الأولوية فى التشغيل لأبناء الوطن أولا ثم أبناء الدول العربية ثانيا ، ثم للعمالة الأجنبية ثالثا طبقا للاتفاقيات العربية فى هذا الشأن ، وذلك نظرا لازدياد العمالة الآسيوية ببعض دول الخليج .

٢- على الدول العربية ، التى تسعى إلى تنمية فرص العمل بالخارج ، أن تعلم أن سياسات الهجرة لن تحل مشكلة التشغيل ، ولكنها " عامل مساعد " ومؤقت . لذا فأن على هذه الدول أن تبحث عن حلول بالداخل لدفع عملية التنمية الشاملة من بينها حسن استخدام الموارد المتاحة ، والاهتمام بعنصر التنمية البشرية لتحويل هذه الموارد إلى ثروة بشرية لمواجهة تحديات المستقبل ، حيث تواجه هذه الدول معدلات مرتفعة من النمو السكانى مما يؤدى إلى مزيد من البطالة .

٣- وضع خطة شاملة طويلة الأمد ، وخطط فرعية مرحلية لاحتياجات الدولة من القوى العاملة المواطنة المؤهلة علميا وعمليا فى القطاعات الرئيسية للتنمية ، وفى التخصصات المختلفة .

٤- التوسع فى فتح مؤسسات لتدريب العمالة العربية ، وتأهيلها بشكل يضمن اندماجها القوى فى قطاعات النشاطات الاقتصادية ومجالاتها ، مع تيسير سبل التحاق المواطنين بالدراسات التأهيلية والتدريبية والتجريبية التى تعقدها مثل هذه المؤسسات .

٥- الاهتمام بقضية الإنتاج فهى القضية المحورية ، وغرسها فى نفوس النشء بواسطة التنشئة الاجتماعية لتجسيد خطورة هذا الهدف المرتبط بتحسين نوعية الحياة ، وهذا بدوره يؤدى إلى رفع إجمالى الناتج القومى ومتوسط الدخل الفردى .

٦- العمل على تعميق الإنتماء داخل الشباب العربى حتى يمكن أن تستقر هذه الكفاءات فى المجتمع ، وتسهم فى دفع عجلة تنمية المجتمع العربى .

٧- القيام بالمبادرات التى تؤثر فى تشغيل الشباب من حيث إيجاد البرامج المنشئة للعمل التى تراعى الخصائص والاحتياجات المتميزة للشباب .

٨- زيادة نشر الوعى ، بمختلف وسائل الإعلام ، بأهمية دور التدريب المهنى فى إعداد الشباب للعمل والعمالة المنتجة ، رغم الإدراك المسبق بأن التدريب المهنى فى حد ذاته ليس وسيلة من وسائل توليد ونشر فرص العمل .

المصادر:

١- الانصاري، محمد جابر، النزاعات الاهلية العربية العوامل الداخلية والخارجية، مركز دراسات الوحدة العربية، يروت، ١٩٩٩,

٢- الجواهري، ناظم، لماذا تستمر هجرة الكفاءات العلمية الى الخارج، مقالةفي جريدة المؤتمر، العدد ١٠٢٤، بتاريخ ١٨ شباط ٢٠٠٦,

٣- الراوي،منصور مطني، سكان الوطن العربي التوزيع والهجرة والتحضر، دراسة تحليلية، ج٢،ط١، دار الشوؤن الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٩,

٤- حسن، عامر ابراهيم، المهاجرين العرب الى الولايات المتحدة، مجلة افاق عربية، العدد السابع، بغداد، ١٩٧٧,

٥- جامعة الدول ، التقرير الاقليمي للهجرة الدولية العربية، قطاع الشوؤن الاجتماعية، ادارة السياسات السكانية والمغتربين والهجرة، ٢٠١٤,

٦- عبدالناصر احمد عبدالسلام، هجرة الكفاءات العربية الاسباب والنتائج(العراق انموذجا)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاقتصاد، الاكاديمية العربية للعلوم الاقتصادية، كوبنهاكن، الدنمارك، ٢٠٠٩,

٧- عطوف محمود ياسين، هجرة العقول العربية الى الدول التكنلوجية، دار الاندلس، بيروت، ١٩٨٤,

٨- عاطف زايد، هجرة العقول الى الخارج، جريدة الاهرام، العدد ٥٠٨، بتاريخ ٢٠١٢/٥/١١ على الموقع الالكتروني: http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx

٩- قويدر ابراهيم، فقدان المواهب لصالح بلدان اخرى"هجرة العقول العربية"، مجلة ليبيا اليوم الالكترونية، عدد ٢٠٠٧,/١/٢٣

١٠- مرسي، محمد عبدالعليم، نزيف العقول البشرية، عالم الكتب، الرياض، ١٩٨٢.